

العرب في الاندلس

(٧١٠ - ١٤٩١ م . و ٩٢ - ٨٩٧ هـ)

- « تبتدى دولتهم بدخول طارق وهزيمة »
« لذريق . وتنتهي بسقوط غرناطة »
« وخروج ابي عبدالله منها »

فصول البحث واغراضه

لمحة تاريخية

- الفتح . عهد الولاة . الدولة الاموية . ملوك الطوائف . دولة المرابطين .
دولة الموحيدين . دولة بني الاحمر . ميزة العصر .

الشعراء الاندلسيون

- ميزة الشعر . المدح . الرثاء . الشكوى والاستعطاف . الهجاء . الحماة
والفخر . الحكم . الزهد . التصوف . اوصاف : « وصف المعارك . الغزل .
الحمريات . الصيد . الطبيعة والعمران » .

الموشحات الاندلسية

- التعريف بالموشحات . اختراعها . اغراضها ومعانيها . لغتها . تأثيرها .
متزلة الشاعر الاندلسي .

الكتاب الاندلسيون

- ميزة النثر . الترسل . التصنيف والمصنفون . علوم اللغة . العلوم الدخيلة .
الفلسفة والمنطق . السياسة والاجتماع . التاريخ والجغرافية . الفنون والصنائع .
الادب والادباء .

ملحة تاريخية

الفتح

اسم الاندلس ، حالة اسبانية قبل الفتح . نذريق وابناء
غيطشه . يليان . كتابه الى موسى بن نصير . طريف .
طارق . اولاد غيطشه يساعدون الفاتحين . حالة جيش
المسلمين . حالة جيش الاسبانيين . انتصار المسلمين .
احراق السفن . متابعة الفتح . مجيء موسى . الخليفة
يطلبه وينقيه . مقتل عبدالعزيز .

اطلق العرب اسم الاندلس على جميع البلدان الاسبانية التي فتحوها ، وكان لا
يعرف به غير اقطاعة الفندال التي ابحر منها جماعات الفنداليين في هجرتهم الى افريقية ،
فسميت باسمهم ، وقيل لها فندلس . وهي اول ارض وطئها العرب من اسبانية ، وعرفوا
اسمها ، فحرفوه ، وقالوا اندلس .

وكانت اسبانية قبل الفتح العربي على اسوأ حالة في السياسة والاجتماع ، فان
الضرائب الباهظة اشتفت ثروة الطبقة الوسطى ، وجماعة الموسرين على قلتهم استبدوا
باراضيهم الخصبة على العبيد الفلاحين ، يستغلونها لترفهم وملذاتهم . والنصرانية مع
انتشارها في اسبانية لم تبدل كثيراً من الشرائع الرومية القديمة ، فظلت السيادة
لاصحاب الاقطاعات ، والعبودية للفلاحين والضعفاء ، فقد دخل القوط هذه البلاد في
القرن الخامس للميلاد واقاموا فيها مطمئنين ، وازالوا سلطان الروم ، وبنوا سلطنتهم ،
وانتحلوا النصرانية ديناً ، ولكنهم صاروا يها الى اضطهاد اليهود ، فوسعوهم شراً ،
والى احتقار الروم لانهم مغاوبون .

فطبيعي ان تفضي هذه الحالة الى اختلال في بناء الدولة ، واكثر الشعب يمتها
ويسمى زوالها، لعل بتغير الاحكام بتغير الاحكام .

وكان على اسبانية ملك يقال له لُدْرِيْق (Roderic) اغتصب العرش القوطي
بعد وفاة الملك غَيْطِشَه (Witiza) وجعل العاصمة قُرْطَبَة (Cordoue) بدلاً من
طَلِيْطَلَة (Tolède) لان اشياعه فييا . ولم يكن من سلالة الملوك ، وانما هو رجل
نبيل ناصره الروم ورجال الدين لانه وقف لغيطشه يعارضه في ازدياد الروم ، وعيشه
باوامر الكنيسة . فلما صار اليه الملك ، فزع اولاد غيطشه أَلْمَند ورُمْلَه وأرطَباش
(Olemundo, Romulo, et Arlabast) وأخوه أْبَاس (Oppas) الى يُليان (Julien)
صاحب سَبْتَة (Ceuta) وكان عاملاً تقيصر الروم، ولكن بعده من القسطنطينية وقربه
من البربر جعله يتودد الى غيطشه ملك القوط لانه مسيحي مثله، وييدي له خضوعه،
فصادقه غيطشه وصاهره فلما استنجده ابناؤه واخوه رحب بهم ، ووعدهم خيراً .
ورؤي ان يليان اشتد كرهه للذريق ، ونقمته عليه بعد ان انتهك عرض ابنته ،
وذلك انه جرت عادة الاشراف في اسبانية ان يبعثوا اولادهم الى بلاط الملك
الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ، ويتأدبوا بآدبه ، وينالوا من كرامته ، حتى اذا
بلغوا ازوج بعضهم بعضاً استئلافاً لأبائهم . وكان ليُليان ابنة بارعة الجمال اسمها
فلورندا كافا ، فبعثها الى بلاط لذريق ، فوَقعت من قلبه موقِعاً حسناً ، ولم يرع لها
حرمة ، فاعلمت والدها فاسترجعها ساخطاً . فغير عجيب ان يسمى لاسقاط لذريق
وثل عرشه .

وكانت سبته همزة الوصل بين المغرب والاندلس ، فكتب يليان الى موسى بن
نُصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يزين له غزو الاندلس ، ويصف خصب
ارضها ، وقرّة اموالها ، وسهولة التغلب عليها لتخاذل اهليها ، وانقسام بعضهم على
بعض ، ووعدّه بالمساعدة . فاستأذن موسى الخليفة بغزو الاندلس فاذن له على ان
يخوضها اول الامر بالسرايا ، ولا يغور بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ، فبعث موسى
مولى له من البرابرة يقال له طريف بن مالك النَجْعِي ، في اربع مائة راجل ، ومائة
فارس فحملتهم اربع سفن ليُليان الى جزيرة الفندال التي اشتق منها اسم الاندلس ،

فسميت جزيرة طريف (Tarifa) نزلوه بها . واقاموا فيها يوماً ثم كروا الى المغرب وقد اصابوا ، لا جسيماً ، وسياً لم ير موسى واصحابه مثله حسناً .
وعاد يليان يحرض موسى على اقتحام الاندلس حتى اغراه ، فدعا بدريري من مواليه اسمه طارق بن زياد ، فمقدته ، وبعثه في سبعة الاف من البربر ، ليس فيهم الا ثلثائة من العرب ، فاقتلهم سفن يليان التجارية لحس خلون من رجب سنة ٥٩٢ هـ .
فسارت بهم تهر نجر الزقاق من طنجة الى سبتة الى جزيرة الفندال ، ويسميا العرب الجزيرة الخضراء . وكان تزولهم عند جبل كلبه (Calpe) فقبل له جبل الفتح او جبل طارق ، وسمي بحر الزقاق مضيق جبل طارق .

وكان اول من قاوم العرب تدمير (Theudimer) صاحب الجزيرة الخضراء ولكنه لم يصبر طويلاً بل انهزم الى إشبيلية (Seville) وبعث الى عاهله لذريق يخبره بغارة العرب ، وخيانة يليان . فحشد لذريق الجيوش ، وكتب الى اولاد غيطشه ، يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب ، ويحذرهم من القعود عنه ، فلم يجدوا بداً من اجابته ، فحشدوا ، وقدموا عليه ، ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه . وكانوا يظنون ان العرب لا حاجة بهم الى استيطان بلدهم ، وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الغنائم ، ثم يخرجوا عنهم ، فاجمعوا على الانهزام امامهم نكبي يكتنوهم من لذريق فيتخلصوا منه .

وكان لذريق ولى ميسنته احد اولاد غيطشه ، وميسرته الاخر ، فلما تقابل الجيشان ارسل ابنا غيطشه الى طارق يعلمونه ان لذريق كان تابعاً وخادماً لابيهم ، فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه ، وانهم غير تاركين حقهم لديه ، ويسألونه الامان ، على ان يياوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم ، وان يسلم اليهم اذا ظفروا ، ضياع والدم بالاندلس . فاجابهم الى ذلك ، وعاقدهم عليه ، فالتقى الفريقان في الغد على وادي بكة (Wadi-Bekka) ^(١) وكان جيش طارق قد جاءه امداد من المغرب فبلغ اثني عشر الفا ، سلاحهم حسن ، وقلوبهم متحدة على الغزو واقتسام الغنائم . فتقدم فيهم ومعهم يليان في حشده ، يدهم على العورات ، ويتجسس لهم الاخبار . وتقدم لذريق

(١) هكذا ضبطها كلبيان هيواري في كتابه تاريخ العرب ، وهي في نصح الطيب لكثة ولعلها

محرقة بالنسخ ، وتعرف بالاسبانية : (Rio Salado) .

في جيشه وهو على رواية ابن خلدون اربعون الفاً ، وعلى رواية المَقْرِي مائة الف .
ويقول كليان هيوار : « ان جيش الاسبانيين كاد يكون خلواً من الفرسان ، وان
اغلب سلاحه العصي والمقانيع . » اهـ . زد على ذلك حائته المعنوية فمن قواد كأولاد
غيطشه ، يريدون الغدر بلذريق ، الى قلوب في الجند غير متحدة لما بين القوط واليهود
والروم من النفور والانقسام .

وغير عجيب ان يعتمد لذريق على اولاد غيطشه اذ لم يخطر له في بال ان ملوكاً
مثلهم يالتون العرب على امتلاك ارضهم ؛ وجعلهم على رأس الجيش لما فهم من المنزلة
في نفوس القوط .

على ان اولاد غيطشه وصاحب سبته لم يظاهروا العرب في غارتهم على الاندلس ،
الا لاعتقادهم انهم قوم غزاة لا يلبثون بعد الغنيمة ان يعودوا الى بلادهم ، فشدوا
ازرهم للتخلص من لذريق . والعرب انفسهم لم يكن وكدهم البقاء في اسبانية
عندما اقتحموها ، يدل على ذلك حديث رواه المَقْرِي لميمون العابد ، وكان في عداد
الشاميين الذين دخلوا الاندلس ، فقد قال لارطباش بن غيطشه : « انا قدمنا الى هذا
البلد غزاة نحسب ان مقامنا فيه لا يطول ، فلم نستعد للمقام ولا اكثرنا من العدة . »
واستمرت المعارك بين المسلمين والاسبانيين مدة ثمانية ايام فرجحت كفة طارق ،
وشالت كفة لذريق ، فانهزم من المعركة وحاول ان يعبر النهر بعدته وجواده فلم يبن
له اثر . وتم النصر للمسلمين في رمضان سنة ٩٢ هـ . وكانت خسارتهم نحو ثلاثة
الاف رجل ، واما الاسبانيون فكانت خسارتهم اضعاف ذلك .

ورافق خبر الفتح اسطورة مفادها ان طارقاً لما وطى ارض الاندلس امر بالسفن
فاحرقت ، وخطب في جيشه خطبته الشهيرة التي يقول فيها : « ايها الناس ! اين المفر ؟
والبحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر . »
فان صحت هذه الخطبة لطارق ، فليس فيها ما يشير الى احراق السفن . ثم ان السفن
كانت للسكنى بليان ، تسير بامرته ، فاني لطارق ان يتصرف فيها ويأمر بحرقها . هذا
وان اخبار الفتح تنبئ بان السفن كانت تختلف بين افريقية والاندلس حاملة الامداد
والذخائر للفاحين وفي ذلك ما ينبي رواية احراقها . وليس في نفع الطيب ما يثبت

هذه الرواية مع عناية صاحبه بتدوين اخبار الفتح على علاتها . وغير معقول ان يغير طارق بجيشه في ارض غربية ، ويقطع الصلة بينه وبين بلاده ، فما هكذا تكون حكمة القواد وخبرتهم في الحروب .

وبلغ موسى بن نصير فتح الاندلس ، فحسد طارقاً ، وتقدم اليه بان يتوقف عن الايغال في البلاد حتى يأتي اليه . فلم يطعه طارق بل تابع الفتح ، وقسم جيشه اربعة اقسام ، وأرسل بعضاً الى قرطبة ، وجعل مقدمه مغيثاً الرومي مولى الوليد بن عبد الملك . وارسل بعضاً ثانياً الى مالقة (Malaga) وبعضاً ثالثاً الى غرناطة (Grenade) مدينة البيرة (Elvira) وسار هو في معظم الناس الى كورة جيان (Jaen) يريد طليطلة .

فسار مغيث الى قرطبة ، وكان لها سور عال ، فلما اجنهم الليل اقبوا نحوها ، وقد جادت السماء برذاذ اخفى دققة حوافر الخيل ، فعبروا نهر قرطبة ، وتسلق بعضهم وهجروا على الاحراس وهم غافلون ، وفتكوا بهم ، وكسروا اقفال الباب وبيتوا المدينة ، فهرب ملكها واربع مائة من اصحابه الى كنيسة ، وتحصنوا فيها ، فدعاهم مغيث الى الجزية او الاسلام فأبوا ، فاوقد النار عليهم حتى احرقهم ، فسيت كنيسة الحرقى ونجا ملكهم فاخذ اسيراً .

وجمع مغيث يهود قرطبة ، فعهد اليهم بحراسة المدينة استنامة لهم دون النصارى وجعل معهم طائفة من المسلمين ، ثم سار بجيشه قاصداً طليطلة لينضم الى طارق ابن زياد .

واما البعث الذي زحف الى مالقة فقد وفق لافتتاحها ، ولجا اهلها الى جبال هنالك وامتنعوا فيها . ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا غرناطة ، وفتحوها عنوة ، وضموا يهودها للمحافظة عليها مع جماعة من المسلمين . ثم مضى الجيش الى أريولة (Orihuela) من اعمال مُرسية (Murcie) وكان تدمير قد لجا اليها بعد موت عاهله ، فنودي به ملكاً على القوط ، واقام بمرسية ويسميا العرب تدمير باسمه . وكان داهية شديد البأس ، فقاتل المسلمين حتى فني اكثر جيشه ، ولم يبق الا اقله ، فامر النساء بنشر الشعور ، وحمل القصب والظهور على السور في زي القتال .

وتصدر قدامهن في بقية اصحابه يغالط المسلمين في قوته، فكره المسلمون مراسه لكثرة ما عاينوه على السور، وعرضوا عليه الصلح فرضي، ونكَّرَ زيه، ونزل اليهم بامان على انه رسول، فصالحهم على اهل بلده، ثم على نفسه، وتوثق منهم، ثم اظهر لهم نفسه، واعتذر اليهم. وسلمت كورة تُدمر من اذية المسلمين بتدييره، وصارت كلها صلحاً ليس فيها عنوة. وترك المسلمون فيها رجالاً ومضى معظمهم الى طارق لفتح طليطلة.

وانتهى طارق الى طليطلة دار مملكة القوط فالفاها خالية قد فر اهلها عنها الى الجبال، فضم يهودها اليها، وخلف بها رجالاً من اصحابه، وراح يطارد الفارين. وعرف موسى بن نصير ما فعل طارق، وما تسنى له من الفتوح، فحشد ثمانية عشر الفاً من البربر والعرب، وعبر بهم بحر الزقاق، فدخل الاندلس في شهر رمضان سنة ٩٣ هـ (٧١١م) فسار به اصحاب يليان فاقتتح اشيلية وسار الى ماردة (Mérida) في غربي اسبانية، وكان اهلها ذوي بأس ونجدة فدافعوا عنها، ونالوا من المسلمين دفعات وآذوهم، ولم تسقط الا بعد ان توالى النجدات الى موسى بن نصير، وكان فتحها صلحاً لا عنوة.

وذهب موسى الى طليطلة، فاستقبله طارق، ونزل اليه إعظماً، فقنعه موسى بالسوط، ووجَّهه على عصيانه له ومخالفته لرأيه، وطالبه بال النبي. وذخائر الملوك، فقدمها له وفي جملتها المائدة التي غنمها من كنيسة طليطلة، وكان يوضع عليها الانجيل. ويقول المؤرخون انها مصنوعة من الذهب الخالص، مرصعة بفاخر الدر والياقوت، وكان طارق قد خلع رجالاً من ارجلها وخبأها عنده، فسأله موسى عنها فقال: « لا علم لي بها، وهكذا أصبتها. » فامر موسى فجعلت لها رجل من ذهب جاءت بعيدة الشبه عن سائر ارجلها، فأحلَّ بها.

ثم ان موسى اصطلح مع طارق، واظهر الرضا عنه، واقره على مقدمته وتابع واياه الفتح متوغلين في بلاد الفرنجة. وفيما هما يسيران من بلد الى بلد اذا بأمر من الوليد بن عبد الملك يدعو موسى اليه، وقد بلغه ما اصاب من الاموال والغنائم. فولى موسى ابنه عبد العزيز على الاندلس، وجعل مقره في اشيلية ثم ركب في البحر ومعه

طارق ومغيث . وكان مع مغيث في الاسر صاحب قرطبة يريد تقديمه للخليفة ؛ فسأله موسى ان يسلمه اليه فامتنع ، وكان يدل بولائه من الوليد ، فانترعه موسى قسراً . فقيل له : « ان سرت به حياً معك ادعاه مغيث ، والعلج لا ينكر قوله ، ولكن اضرب عنقه . » ففعل ، فحقدتها عليه مغيث . وسار موسى فورد الشام وقدمت الوليد واستخلف سليمان اخوه ، وكان منحرفاً عليه . فسبق اليه طارق ومغيث بالشكية منه ، ورمياه بالحيانة ، واخبراه خبر صاحب قرطبة والمائدة . فلما مثل في حضرته ، وبجته واغلظ له ، وسأله عن المائدة فاحضرها ، فقال : « زعم طارق انه الذي اصابها دونك . » قال : « لا ، وما رآها قط الا عندي . » فقال طارق : « فليسأله امير المؤمنين عن الرجل التي تنقصها . » فسأله ، فقال : « هكذا اصبتها ، وعوضتها رجلاً صنعتها لها . » فاخرج طارق الرجل المخلوعة من قبائمه ، فعلم سليمان كذب موسى فغزله واقصاه ، واغرمه غرماً عظيماً ، حتى اضطر الى ان يسأل الناس معونته .

وقيل بل ورد موسى الشام والوليد مريض ، فكتب سليمان اليه يأمره بالتربص رجاء ان يموت الوليد ، فيقدم عليه موسى بتلك الغنائم في اول خلافته ، فيعظم بذلك مقامه عند الناس . فابى موسى وجداً في السير حتى دخل دمشق ، والوليد حي ، فقدم له الغنائم والتحف ثم مات الوليد واستخلف سليمان فانتقم من موسى ، واغرمه ونفاه الى وادي القرى ، ودس الى الاندلس بقتل ابنه عبد العزيز .

وكان عبد العزيز قد تولى الامر بعد ابيه ، فاحسن سياسة البلاد ، وعقد معاهدة صلح مع تدمير ملك القوط اعترف فيها تدمير بانه من عمال الخليفة ، ورضي بدفع الجزية ، واعترف له عبد العزيز بملكه على بلنسية وأريولة وسواهما ، وعاهده على ان لا يعتدي المسلمون على رعيته ، ولا يسبوا نساءهم ، ولا يعارضوهم في دينهم . واخذ عبد العزيز يجبي الضرائب ، ويرسلها الى دمشق ، ولكن سليمان كان كارهاً له ، ناقماً على ابيه ، فدس عليه من اثار به الجند فقتلوه سنة ٩٨ هـ . (٧١٦ م) وهو في جامع اشيلية ، واتهموه بانه جعل باب مجلسه صغيراً لينحني له الناس ساجدين اذا دخلوا عليه ، وقد فعل هذا ارضاء لزوجته الاسبانية ارملة لذريق ، فانها طلبت منه ان يسجد له الناس ، كما كانوا يسجدون لبعلها الاول فلم يطق رد طلبها لشدة شغفه بها .

عهد الولاة (٧١٠ - ٧٥٥ م و ٩٢ - ١٣٨ هـ)

الولاة تعيينهم افريقية او الخليفة . افتتاح بلاد جديدة .
معركة إبواتيه . العدنانية والبيانية . الفتنة . ثورة
البرابرة . الولاة البانيون يتعصبون . اقتسام الامارة .
استبداد المغاربة باخكم .

بدأ عهد الولاة في الاندلس بطارق، ثم موسى، ثم بعبد العزيز . فلما قتل هذا بقيت
الاندلس نحو ستة اشهر وبنو امية لا يرسلون والياً اليها . فاجتمع زعماء البربر واختاروا
ايوب بن حبيب اللّحمي، وهو ابن اخت موسى بن نصير . فجعل سريره في قرطبة .
ولم يطل عهده لان محمد بن يزيد عامل افريقية من قبل سليمان بن عبد الملك عزله،
وولى مكانه الحرّ بن عبد الرحمن الثَّقفي .

وتعاقب الولاة على الاندلس ، فمنهم من كان يعينهم الخليفة ، ومنهم من كان
يعينهم عامل افريقية . وافتتحت بلاد جديدة كبرشلونة (Barcelona)
وقشتالة (Castille) وَاغار العرب على شواطئ الرون فبلغوا ليون . وما زالوا
يتقدمون في قلب فرنسا حتى كادوا يحصرون تورلو لم يلقهم شمل مرتد مجموع
الفرنجية في سهل إبواتيه، ويردهم على اعقابهم . وقتل في تلك الواقعة قائدهم عبد
الرحمن الغافقي والي الاندلس وذلك سنة ١١٤ هـ . (٧٣٢ م) .

ولم يقتصر عهد الولاة على الحروب بين المسلمين والنصارى في اوربة بل حدث
شقاق عظيم في المسلمين انفسهم، وقامت الفتنة ، واعصوب الشريين الاحزاب،
ذلك انه لما تسامع العرب بفتح الاندلس، وذكر لهم ما فيها من خصب وغنى اقبلوا
اليها، وفي طبيعتهم الشاميون، واستوطنوها وكان فيهم العدنانية من مضر وربيعة
كابناء قريش من فهر وامية وهاشم ومخزوم ، وكابناء غطفان وقيم وكنانة وقيس
عيلان وتغلب وبكر واسد . وفيهم البيانية من كهلان والأزد ومدحج وسواهم
وكانوا اكثر عدداً من العدنانيين، فانتقلت معهم العصبية القبلية، والمنازعات الحزبية

بين القحطانية والعدنانية او القيسية واليبانية .

وكان البربر يعتقدون بانفسهم ، لان الفاتح منهم ، والفتح تم على يدهم ، ويرون انهم اولى من غيرهم بالاحكام . فحدث ان نار البرابرة في المغرب على الشاميين والمصريين ، وانثخروا فيهم ، فتحرك برابرة الاندلس ، وثاروا بوالها عبد الملك بن قطن ، فاستنجد بلج بن بشر القشيري ، وكان في سبته ، ومعه عشرون الف محارب فجاء واخذ الثورة . الا ان عبد الملك لم يحسن جزاءه ، فاغتاظ بلج وقتله ، وولي الامر مكانه . فسخط العرب على بلج لفتكه بعامل الخليفة ، وثاروا عليه ، فقتلوه .

وولي بعده ثعلبة بن سلامة الجذامي فتجهمه الفهريون ومالوا عنه لتعصبه لليمانية ، فهبت الفتنة بين العدنانية والقحطانية ، وتفاقم الامر . وكان على افريقية حنظلة بن صفوان فعزل ثعلبة ، وارسل ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي . وكان ايضا يائياً فافرط في العصبية على العدنانية واسخط القيسية باسائه الى كبيرها الصميل بن حاتم فهاجت الحرب ، وخلع ابو الخطار .

وكان الامويون في الشرق قد تضعفت احوالهم بنشاط الدعوة العباسية ، فعجزوا عن ضبط الولايات القاصية ، فباتت الاندلس فوضى ، لاراع لها ، يتصرف فيها الجند بحسب اهوائهم . فاتفقوا على اقتسام الامارة بين المضرية واليبانية ، يتداولونها سنة فسنة . فقدم المضرية عليهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ٥١٢٩ . (٧٤٦ م) واستتم سنة ولايته بقرطبة . ثم جاءت اليبانية لميعاد دولتهم ، فبيتهم يوسف في سقندة من قرى قرطبة ، وبالغ في تقييلهم وعاونه عليهم الصميل وسائر المضرية ؛ فغلبوا على امرهم واستكانوا ليوسف الفهري على مريض . ثم اصاب الاندلس قحط عظيم ، واشتد عليها الجوع مدة ثلاث سنوات ، فرجع اكثر البربر الى افريقية ، وظل الحكم بيد يوسف الى ان جاء عبد الرحمن الداخل ، وانشأ الدولة الاموية الجديدة .

الدولة الاموية (٧٥٥ - ١٠٣٠ م و ١٣٨ - ٥٤٢٢ هـ)

هرب عبد الرحمن الى الاندلس . قطع الخطة عن بني العباس .
عبد الرحمن الثالث والخلافة . الحكمة . هشام . الحاجب
المنصور . انقراض الامويين .

ما انهار البيت الاموي في الشرق الا لترتفع له الدعائم في الغرب ، فكان الاقدار
ابت الا ان يظل برواقيه حضارة المسلمين ، وعز الاسلام في الخافقين . فقد اديل
لبنو العباس بعد مهلك مروان بن محمد ، فاعلموا السيف في رقاب الامويين ، فقتلوا
منهم خلقاً كثيراً ، ونجا من تراخت منيته . وكان في جملة الناجين عبد الرحمن بن
معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، فانه فر مستخفياً حتى خلاص الى المغرب .
وكانت امه بربرية فتزل على اخواله بني نفرة بالقرب من سبتة ، فاحسنوا ضيافته
ثم لحق به مولاه بدر ، فبعثه بكتاب الى موالى المروانية في الاندلس ، وهم يوم ذلك
ما بين اربع مائة وخمس مائة ، ولهم جمرة . فسهلوا له دخول البلاد ، ووطأوا له عرش
قرطبة .

وقد تواطأت عدة اسباب لنجاح ابن معاوية ، منها حماية البربر له لانهم اخواله ،
ومنها اجتماع موالى المروانية اليه لانه مرواني ، ومنها ضعف الدعوة العباسية في
الاندلس ، لان المضرة كانت في كثرتها شامية اموية ، فانثالت اليه من كل جانب
وعجز الصميل والقيسية عن ردها . اما اليانبة فانها كانت تتمنى زوال سلطان الصميل
ويوسف الفهري ، فتسايلت الى عبد الرحمن نشد ازده ، وقدياً كانت اليانبة انصار امية
على قيس عيلان .

وما زال الاموي يحتل بلداً بعد بلد حتى دخل قرطبة ، فجعل فيها سريره .
وانتصر على الصميل ويوسف الفهري واهلكهما ، ودانت له الاندلس كلها ، فاصبح
اميرها ، ولقب بالداخل ، لدخوله اياها ولقبه ابو جعفر المنصور بصقر قريش . وكانت
الخطبة تقام لبني العباس فقطعها عنهم ، ودعي له على المنابر ، وبني المسجد الجامع في

قرطبة، واختط مدينة الرُصافة في شمالها على مثال رصافة الشام لجدّه هشام، وجعل بلاطه كبلاط لذريق في عظته وبيانه . وكانت مدة ملكه اربعاً وثلاثين سنة من سنة ١٣٨ - ١٧٢ هـ . (٧٥٥ - ٧٨٨ م) .

وتداول الملك بعده ابناؤه وحفداؤه حتى وليه عبد الرحمن الثالث ، فقام باعبائه خمسين حولاً من سنة ٣٠٠ الى سنة ٣٥٠ هـ . (٩١٢ - ٩٦١ م) وبه بلغت دولة بني مروان اوج مجدها . وكانت له الغزوات المظفرة في الشمال والجنوب ، فخضعت له بلاد كثيرة من اسبانية والمغرب ، وجاءته الهدايا من ملوكها . وجعل الاندلس امة واحدة تحت سلطانه واستكثر من الصقالبة^(١) ، واعتمد عليهم في الجيش وخطط الدولة، فزال بهم زعامة الارستقراطية العربية .

وكان امراء بني امية يطمعون في استرجاع الخلافة ، ويتحينون لها الفرض ولم يتلقبوا اول امرهم بالقبائيا مخافة ان يجد المسلمون في عملهم بدعة لان الخلافة العباسية كانت في ابان عظمتها، فلا مسوغ لقيام خلافة اخرى .

فلما صار امرها الى الضعف وباتت شؤونها في يد الاتراك والخدم يؤلون الخلفاء ويخلصونهم او يقتلونهم، سنحت الفرصة لممك الاندلس، فاغتنمها عبد الرحمن الثالث وهو الرجل المقدمة الحزيم ، وسمي امير المؤمنين الناصر لدين الله سنة ٣١٦ هـ (٩٢٨ م) .

ومات عبد الرحمن وله من العمر سبعون سنة؛ وفي ايامه نهضت الاداب والعلوم نهضة ميمونة، وازدهرت العبارة، وكثر عدد السكان في قرطبة وبنيت بها القصور المنيفة ، واستكثر من الجوامع والحمامات فبلغت ثلاثة الاف جامع وثلثمائة حمام . فاصبحت قرطبة تنافس بغداد في حضارتها، فاذا هي منارة الغرب الوضائة ، كما كانت تلك منارة الشرق . وبني الناصر على مقربة منها مدينة اسمها الزهراء باسم جارية له ، واجرى فيها المياء ، وانشأ القصور والبساتين مما يجمل عن الوصف . وبلغت

(١) الصقالبة : كان يراد بهم اولاً احدث السلاف الذين يسبون ويبيعون في اسواق الاندلس، ثم اريد بهم صبيان الفرنجة على الاطلاق . وهؤلاء الاحداث اسلموا وتعلموا العربية، فهم اشبه بالموالي في الشرق، وكان عددهم يراوح بين اربعة آلاف الى ثلاثة عه الفأ

جباية الضرائب في ايامه ٦٠٢٤٥٠٠٠٠ دينار . وكان له اسطول عظيم يزاحم به اسطول الفاطميين .

وانتقلت الخلافة من بعده الى ولده الحكم المستنصر بالله ؛ فكان كايه حازماً حسن التدبير، فاخضع الثائرين من النافاريين والقشتاليين ؛ واستخذي له ملك الجلالقة^(١) وملك خمس عشرة سنة^(٢) كلها بين واقبال ؛ وبلغت قرطبة غاية عظمتها حتى حق لها ان تسمى دار العلوم . وامتاز عهده بانشاء المدارس والمكاتب فقد ابنتى في قرطبة سبعا وعشرين مدرسة، وجعلها مجاناً للطلاب؛ واتم بناء الجامع الكبير اعظم مسجد في العالم، وفيه كانت تدرس الاداب والعلوم العالية . قال في وصفه كليان هيوار : « هو غابة من المرمر يشتمل على ستين سارية وثماني مائة ، واثر عجيب للفن الاسلامي . » وارسل البعثات العلمية الى الشرق فكانت تنسخ له الكتب وتأتي بها اليه حتى جمع في خزائنه اربع مائة الف كتاب . ويقول دوزي في كتابه تاريخ مسلمي اسبانية : « ان اسبانية المسلمة كادت كلها تقرأ وتكتب ، على حين ان الطبقة الرفيعة في اوربة المسيحية لم تكن كذلك ، اذا استثنينا رجال الدين . »

وكانت خلافة الحكم نهاية عهد القوة في دولة الامويين ، فان هشاماً كان حدثاً لما ولي الامر بعد ابيه، فاستبد بشؤون الدولة وزيره محمد بن ابي عامر، وعضدته صبح ام الخليفة الصغير، لانها كانت تهواه . فحجر على هشام ، ومحا رسم الخلافة وكتب اسمه في السكة والطراز^(٣) وتلقب بالحاجب^(٤) المنصور، ودعي له على المنابر، ولم يترك للخليفة غير الدعاء ليلة الجمعة . وكان شديد البطش، كثير الغزوات موقفاً، اغار على الفرنجة مرات عديدة، واتحن فيهم، وهدم مدنهم امثال لاون (Léon) وبرشلونة . ومات سنة ٣٩٣ هـ . (١٠٠٢ م) .

وكان محباً للفلسفة، فرمي بالزندقة ، فاراد تبرئة نفسه، فامر بكتب المنطق والنجوم فاخرجت من خزائن الحكم واحرقت ، ولكنه قرب العلماء والشعراء ،

(١) الجلالقة جمع جَلَيْفِيّ : نسبة الى جَلَيْفِيَّة (Galice) وهي ولاية من اسبانية .
(٢) مدة خلافته من سنة ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ . (٩٦١ - ٩٧٦ م) . (٣) الطراز : ثوب ينسج للسلطان . (٤) الحاجب : برتبة الوزير الاول في الاندلس والمغرب .

واحسن صلاتهم فنطقوا بحمده ، واشادوا بذكروه .

وتولى الامر بعده ابنه عبد الملك وتلقب بالملك المنصور ، ومات بعد ان حكم سبع سنوات ، فخلفه اخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله ، وجرى على سنن ابيه واخيه في الحجز على الخليفة هشام ، والاستقلال بالملك دونه . ثم طمعت نفسه في الخلافة ، فطلب من هشام ان يوليئه عهده ففعل . فتقم الامويون والقرشيون وخلعوا هشاماً ، وبايعوا محمد بن هشام من حفدة عبد الرحمن الثالث وتلقب بالمهدي . وكان الناصر غائباً في غزوة ، فلما بلغه الخبر قفل الى قرطبة ، فارسل اليه المهدي من قبض عليه ، واحتر رأسه ، وذهبت بموته الدولة العامرية .

غير ان محمد بن هشام لم يستقر ملكه على حال لانه جاني البرابرة لميلهم الى العامريين ، فآتمروا به وبايعوا سليمان بن الحكم ، وتسمى بالمستعين فقامت الفتنة بين الاميرين فمرة كان ينتصر المهدي ويهزم المستعين . ومرة كان ينتصر المستعين فيستجيش المهدي ملك الاسبانيين ، فيمده ويعيده الى عرشه . وانتهت العاصمة مراراً وخرب اجمل قصورها في المعارك المتتابة ، واصيبت مثلها المدن والقرى في جوارها ، ثم تم الامر للمستعين ، فتلقب البربر على الاحكام ، وارتفع شأنهم .

وكان علي بن حمود الإدريسي قد جاء الاندلس من المغرب فدعا البربر الى مبايعته ، فاجابوه لما للادارسة من الكرامة عندهم ، فقتل المستعين وتلقب بالناصر . ثم رجع الملك الى امية لان اهل قرطبة ناروا بقاسم بن حمود ، وردوا الملك على الامويين . ثم عاد الملك الى بني حمود ، ثم الى بني امية ، وكان آخر خليفة منهم المعتض بالله هشام بن محمد فملك مدة يسيرة ثم خلعه الجند فهرب وانقطعت به الدولة الاموية ، وصار الامر في قرطبة الى الطبقة الارستقراطية . واما الولايات فان رؤساء الطوائف فيها من بربر وعرب وموال اقتسموا خطتها ، واستبدوا بامرها ، فعرفوا بملوك الطوائف .

ملوك الطوائف (١٠١٢-١١٤١ م و ٤٠٣-٥٣٦ هـ)

الزيرية . الحمودية . الهودية . العامرية . العبادية .
بنو الافطس . الجهورية . النونية . تجارجم . استجداهم .
ملوك الفرنجة . حالة الاداب والعلوم .

بدأ استقلال ملوك الطوائف في عهد الامويين بعد ان ضعف سلطانهم، واستبد
العامريون عليهم . فان الدولة الزيرية استقلت في غرناطة سنة ٤٠٣ هـ . في خلافة
المرتضى ، وهي دولة بربرية تنتسب الى رأسها زاوي بن زيري، وظل ملكها الى
سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م)

وكذلك الدولة الحمودية استقلت في عهد المستعين الاموي سنة ٤٠٧ هـ .
(١٠١٦ م) . وتلقبت بالقب الخلافة ، وهي شيعية من المغرب تنتسب الى ادريس
من سلالة الحسن بن علي . وكان سريرها ينتقل من قرطبة الى مالقة الى الجزيرة
الخضراء . وانقرض ملكهم سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) .

واشتهر من ممالك الطوائف الدولة الهودية في سرقسطة (Saragosse) من ٤١٠ -
٥٣٦ هـ (١٠١٩ - ١١٤١ م) وهي دولة عربية اشهر ملوكها المقندر بالله وابنه
المؤتمن . وكان المؤتمن بارعاً في العلوم الرياضية وله فيها تأليف حسان .
والدولة العامرية في بلنسية (Valence) من ٤١٢ - ٤٧٨ هـ (١٠٢١ - ١٠٨٥ م)
وهم من موالي بني عامر .

والدولة العبادية في إشبيلية من ٤١٤ - ٤٨٤ هـ (١٠٢٣ - ١٠٩١ م) وهي عربية
من بني أخم من ولد النعمان بن المنذر .
ودولة بني الافطس في بطليوس^(١) (Badajoz) من سنة ٤٢١ - ٤٨٧ هـ (١٠٣٠ -
١٠٩٤ م) وكانت دولة متحضرة نهضت بالعلوم والفنون ، مع انها بربرية من

(١) هكذا ضبطها ياقوت، وضبطها ابن خلكان بفتح الياء قبل الواو الساكنة .

مكناسة، ولكنها نشأت في الاندلس وتخلقت باخلاق اهلها .
 والدولة الجهورية في قرطبة من سنة ٤٢٢-٤٦١ هـ (١٠٣٠-١٠٦٨ م) قامت
 بعد ان زالت خلافة المعتضد وسقطت الدولة الاموية، وصار الامر بقرطبة الى الجماعة
 الارستقراطيين وكان عميد هذه الجماعة ابو الحزم جهور، فاستولى على الاحكام،
 واستقل بالملك، فتوارثه ابناؤه من بعده .
 ودولة ذي النون في طليطلة من ٤٢٧-٤٧٨ هـ (١٠٣٥-١٠٨٥ م) وهي بربرية
 من قبائل هواراة .

وكان ملوك الطوائف يحارب بعضهم بعضاً، ويتغلب قويهم على الضعيف فيزيل
 ملكه كما ازال العباديون ملك الجهورية، والنونيون ملك العامرية . وربما استنجد
 بعضهم على بعض ملوك الفرنجة، فيقتنم هؤلاء الفرصة، ويهاجمون الاندلس، ويستولون
 على عواصمها، ويخضعون ملوكها، ويضربون عليهم الجزية، ويجعلونهم عمالاً لهم ؛
 فعل فردينان الاول بالمظفر ملك بطليوس، وبالمأمون ملك طليطلة ؛ وفعل ألفونس
 السادس بملك سرقسطة .

وظلت الاندلس في اضطراب دائم لا تستقر على حال حتى افتتحها يوسف بن
 تاشفين ومحا ملوك الطوائف، الا دولة سرقسطة فان صاحبها اعتصم بالفرنجة فحموها
 حيناً، ولم ينل منها المرابطون الا في سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) واستعادها الفنس الاول
 ملك أرغون (Aragon) سنة ٥١٢ هـ (١١١٨ م) .

ومع سوء الحالة السياسية في عهد ملوك الطوائف فان الاداب والعلوم نهضت
 نهوضاً عظيماً لتنافس الامراء في تعزيزها، وتقريب اصحابها ، وظهرت الفلسفة وعلى
 رأسها ابن باجة؛ واشتهر من هؤلاء الملوك جماعة من الادباء والشعراء، كالمظفر وابنه
 المتوكل ملكي بطليوس، والمعتد بن عباد ملك اشيلية .

دولة المرابطين (١٠٥٦-١١٤٦ م و ٤٤٨-٥٤١ هـ)

الملثمون . لماذا سموا المرابطين . قيام دولتهم في المغرب .
يوسف بن تاشفين . استنجد الاندلس به . استيلاؤه على
الاندلس . عهد علي بن يوسف على الاندلس .

ترجع هذه الدولة باصلها الى قبيلة لمتونة من برابرة صنهاجة في المغرب . وكان
من سنتهم ان يضربوا لثاماً على وجوههم فلقبوا بالملثمين . وفي اصل اللثام اقوال
كثيرة اشهرها ان قوماً من اعداء الملثمين كانوا يرتقبون غفلتهم حتى اذا غابوا عن
بيوتهم طرقتوا الحي وانتهبوا النساء والاموال . فاشار بعض اشياخهم ان تبعث
النساء في زي الرجال الى ناحية ، ويقعد الرجال في البيوت ملثمين في زي النساء . فلما
اتاهم العدو ظنهم نساء فاراد سيئهم ، فثاروا عليه واشتفوا منه ، ثم لزموا اللثام
تيمناً به .

وسموا المرابطين لان احدهم يحيى بن ابراهيم أسلم فجاء بقيقه اسمه عبدالله
ابن يس ليعلم قبيلته القرآن واحكام الدين . ثم مات يحيى فتنفرق الناس عن الفقيه ،
فلم يفت في عضده بل جمع فئة منهم واعتزل بهم في جزيرة من السنغال ، وابتنى لهم
رباطاً^(١) فسما المرابطين . فلما كثرت عددهم ، وبلغوا الالف ، خطب عبدالله فيهم ،
وحضهم على الجهاد في سبيل الحق ، وامرهم بارشاد عشائريهم . وابت عشائريهم ان
تهتدي يديهم ، فشنوا الغارة عليها ، وقتلوا منها خلقاً كثيراً ، حتى اسلمت . ثم تابعوا
الغزوات في بلاد المغرب يدعون الناس الى دينهم وطاعتهم فاوقعوا الرعب في النفوس ،
ونشروا الهول في تلك الانحاء .

وجعل عبدالله قيادة الجيش ليحيى بن عمر وكانت له زعامة في قبيلته لمتونة ،
فابتدأت به دولة المرابطين سنة ٤٤٨ هـ . فلما مات خلفه اخوه ابو بكر ، ثم تنازل

(١) الرباط والرابطة : مكان ينفرد به المسلمون للعبادة ، ويتأهبون فيه للجهاد . هو

بيت دين وحرب .

ابو بكر لابن ٤٤٠ يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) فدوخ يوسف المغرب وفتح فاس وطنجة وسبتة، وبني مدينة مراكش^(١) وجعلها داراً له فعظمت هيئته وضاع ذكره .

وكانت الاندلس في تلك الاثناء تعاني اشد الضيم فان الفنس السادس صاحب قشتالة غزاها غير مرة، واثخن في المسلمين، واخضع ملوك الطوائف، حتى بلغ جزيرة طريف، وادخل قواثم فرسه في البحر وقال: « هذا آخر بلاد الاندلس قد وطئته . » فلما بلغ الضعف بالمسلمين حده اجمعوا رأيهم على استنفار يوسف بن تاشفين، فكتب اليه المعتمد بن عباد صاحب اشيلية يعلمه بحال الاندلس، وتغلب الفرنجة على اكثر ثغورها، ويسأله النصر والاعانة . وكتب اليه اهل الاندلس كافة يستنجدون على العدو المغير . فجمع جيشا كثيفا، واجازه الزقاق الى الاندلس، واتخذ الجزيرة الخضراء مقراً له، فاقبل عليه ملوك الطوائف بامدادهم .

وكان الفنس يحاصر سرقسطة فلما علم بقدومه ارتد عنها للقائه، فنشبت بينهما معركة حامية الوطيس، فدارت الدائرة على الفنس، فانهزم جريماً، وتبدد جيشه في ١٢ رجب ٤٧٩ هـ (٢٣ تشرين الاول ١٠٨٦ م) فازداد يوسف بن تاشفين عظمة بهذا الانتصار وتلقب منذ اليوم بامير المسلمين، واتاه به تقليد الخليفة العباسي المقتدي بامر الله، ولقبه ناصر الدولة ثم رجع يوسف الى المغرب ظافراً منصوراً .

وما لبث المسيحيون بعد عودته ان استأنفوا نشاطهم، واعاد الفنس الكرة على الاندلس، واستولى على مدائنها، ورأى في بلنسية من صاحبها السيد رُذريق (Rodrigue)^(٢) معيناً . ففرع المعتمد بن عباد الى مراكش مستصرخاً امير المسلمين، وكتب اليه علماء

(١) مراكش : لفظه بربرية معناها امش مسرعاً، سمي بها الموضع الذي بنيت فيه لانه كان مأوى للصوص، فاذا مر به المسافرون قال بعضهم لبعض امش مسرعاً تخلصاً منه .
(٢) هو صاحب الاسطورة التي بنى عليها كورنفة قصة السيد . وكان هذا الرجل قائد جيش من المرتزقة، يقاتل به ابن يدي من يعطيه مالاً فتارة يخدم به اليهوديين، وتارة يخدم به الفنس حتى تمكن من الاستيلاء على بلنسية، واسر عاملها القاضي ابن جحاف، واحرقه حياً . وانشأ فيها امارة له . غير انه لم يهنأ بانتصاره بل مات قهراً بعد ان خذله المرابطون سنة ٤٩٣ هـ (١٠٩٩ م) .

الاندلس يستنجدونه لانقاذها . فطُمع في الاستيلاء عليها لما تحقق من ضعف اهلها ، فاغزاهما قائده سير بن ابي بكر ، فاستولى على قرطبة ، واشبيلية ومُرسية ودانية (Dénia) سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ودافع المعتمد بن عباد عن مملكته دفاعاً شريفاً ، ثم اسر واقتيد الى أغمات قرب مراكش ، ومات فيها .

وافتح سير بطايوس سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) وازال ملك بني الافطس . ثم بلنسية سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) بعد ان دافعت عنها شيان ارملة رُذريق نحو سنتين . ومات يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ (١١٠٦ م) بعد ان دانت له الاندلس ، واصبحت ولاية للمرابطين . وانتقلت امارة المسلمين بعده الى ولده علي ، فجعل مقره بمراكش ، وترك في الاندلس اخاه تميماً نائباً عنه .

وتمتع الاندلس في دولة علي فان تعصبه الشديد للدين ، واستمساكه بذهب مالك ، وكره غيره من المذاهب جعله آلة بيد الفقهاء ، فساد التعصب والارهاب ، وكثرت الوشائيات ، وخنقت حرية التفكير . وفي ايامه ظهر المهدي محمد بن تومرت في جبال المصامدة بالمغرب فكان ظهوره وبالأعلى دولة المرابطين ، وسبباً لقيام دولة الموحدين .

دولة الموحدين (١١٢٩ - ١٢٦٨ م و ٥٢٤ - ٦٦٧ هـ)

محمد بن تومرت . طريقة التوحيد . المهدي . الدعوة الى
جهاد المرابطين . موت المهدي . خيفته . دخوله
الاندلس . عهد الازدهار في دولة الموحدين . اقراضها .

نشأ محمد بن تومرت في جبل السوس من المغرب الاقصى، وقومه بنو هرغة وهم
بطن من بني مصمودة، وهي قبيلة شديدة البأس كثيرة العدد . وبدت عليه دلائل
التقوى منذ حدثته، فكان يزور قبور الاولياء، ويتبرك بها . وطلب العلم في بلده
فوجد ان المدارس في المغرب لا غناء فيها، فرحل الى الشرق، وجاء بغداد، وتلمذ لابي
حامد الغزالي في المدرسة النظامية، فاخذ عنه طرفاً صالحاً من العلم واصول الدين .
فلما رجع الى المغرب شرع يدعو الناس الى التمسك باهداب الشرع، واقامة
احكام السنة، ويبين لهم فساد الملوك والامراء وظلمهم ويدعوهم الى عصيانهم .
واطلق على طريقته اسم التوحيد، فتبعه خلق من بني هرغة، فعرفوا بالموحدين . ثم
اوقع في خلدتهم ان النبي بشر بالمهدي الذي يملأ الارض عدلاً، وقال انه يخرج من
المغرب الاقصى . فقام اليه عشرة رجال، وقالوا له: « انت المهدي . » وبايعوه وساروا
في ركابه يبشرون له الدعوة في بلاد المصامدة حتى كثرتابعه، ورسخت تعاليمه،
فدعاهم الى جهاد المرابطين، وابعاهم دماؤهم، فبايعوه على الموت؛ فوجد منهم
عشرة آلاف وقدم عليهم ابا محمد البشير احد صحابته العشرة، ودعا لهم؛ فراحوا
يغزون في بلاد المغرب، ويوقعون بالمرابطين حتى بلغوا مراكش فحاصروها ولكنها
امتنعت عليهم، ومات المهدي سنة ٥٢٤ هـ قبل ان يفتتحوها . وكان قد اوصى بعده
عبد المؤمن بن علي احب صحابته اليه فبايعوه بالخلافة، وتلقب بامير المؤمنين . وتابع
عبد المؤمن جهاده حتى ازال دولة المرابطين واقام بها دولة الموحدين .

وجاءته الوفود من الاندلس تدعوه، فاجاز اليها جيشاً من الموحدين وامتلكها، وجعلها من ولاياته .

وبلغت دولة الموحدين اوج عزها في عهد ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن^(١) الخليفة الثاني بعد المهدي، ثم في عهد ولده ابي يوسف يعقوب^(٢) الخليفة المنصور . ومع تمسك الموحدين باصول الدين، كانوا في الاندلس اعلق بالحضارة من المرابطين، فان ابا يعقوب استقدم الفلاسفة الى بلاطه كابن طَظِيل وابن رُشد، وعني بالعمارة، ومن آثاره الباقية منارة الجامع الكبير في اشيلية .

وظل الحكم للموحدين حتى اقتسم المغرب دول ثلاث، وهي المرينية وعاصمتها فاس، والزيرية وعاصمتها تلمسان، والحفصية وعاصمتها تونس .

(١) خلافة ابي يعقوب من سنة ٥٥٨ - ٥٨٠ . (١١٦٣ - ١١٨٤ م) . (٢) خلافته من

سنة ٥٨٠ - ٥٩٥ . (١١٨٤ - ١١٩٨ م) .

دولة بني الأحمر (١٢٣١ - ١٤٩١ م و ٦٢٩ - ٨٩٧ هـ)

خاتمة الاندلس بعد الموحدين . محمد بن نصر . اتفقه مع
الاسبانيين . سقوط قرطبة . لم يبق للمسلمين غير غرناطة .
سبب بقائها طويلاً . ابو عبدالله . الفتن الداخلية . غزوات
الاسبانيين . سقوط غرناطة . الاداب في عصره .

زایل الموحدون الاندلس بعد انقطاع دولتهم ، فبسط محمد بن هود صاحب
بطليوس سلطانه عليها فشمّل به بطليوس ومُرسية وقرطبة واشيلية . ولكنه كان
اضعف من ان يذود الاعداء عن مملكته ، ويجرس استقلالها ، ويرد المكاييد عنها .
فقد كان في أرجونة (Arjona) من حصون قرطبة ، قبيلة عربية من بني الاحمريته
نسبها الى الخزرج ، وعميدها محمد بن يوسف بن نصر . فاتفق هذا مع الاسبانيين ان
يدوه بجيش لقتال ابن هود على ان ينزل لهم عن بسائط الاندلس اذا استتب امره
فيها . فاغتم الفرنج الفرصة وزحفوا بمجموعهم يستولون على المدائن والحصون حتى
بلغوا قرطبة فحاصروها ستة اشهر ، ثم سقطت في ايديهم سنة ٦٣٣ هـ . (١٢٣٥ م)
بعد ان لبثت نحو عشرين سنة وخمس مائة عاصمة اسبانية المسلمة . وقتل ابن هود
في الحَرِّيَّة (Almería) ولم يبق للمسلمين غير اقطاعة الاندلس وعاصمتها غرناطة ،
يتولاها ابن الاحمر امير المسلمين من قبل فردينان الثالث ، وعاشت هذه الدولة
الصغيرة ما ينيف على خمسين سنة ومائتين . ويعود ذلك على ان الملوك الاسبانيين
كانوا يُشغلون عنها بمعاربة بعضهم لبعض ، وانها كانت تستجد سلاطين المغرب في
ضنكها فيجيزون اليها جيوشهم لدفع المسيحيين عن ارباضها .

فلما تأذن القدر بزوالها ، تولى امرها السلطان ابو الحسن علي بن الاحمر سنة ٨٨٨ هـ .
(١٤٨٣ م) فنازعه الملك اخوه ابو عبدالله محمد الملقب بالزغل ، وبويع له باللقبة ، فقامت
الفتنة بين الاخوين حتى خضع الزغل لاخيه .

وكان لابي الحسن زوجتان احدهما ابنة عمه عائشة ، والثانية اسبانية مسيحية

اسمها ايزبئة، فلم اسلمت سميت الثريا . وكان يؤثرها على عائشة، ويخصها بالاحكام والموادة، حتى انه قدم احد اولادها لولاية العهد . فاحتمت الغيرة في صدر عائشة ، وفرت من القصر ومعها اولادها ولجأت الى مدينة قادس (Guadix) فعضدها الشعب وبيع وندها ابا عبدالله . واعصوب الشريين حزب ابي عبدالله وحزب والده ابي الحسن، ولاسيا الثغريون^(١) وبنو السراج، فقد انتصر الاولون لابي الحسن، والآخرين لابي عبدالله، فكثروا يقتلون في الشوارع والطرق حتى جعلوا القوضى منتشرة في البلاد . وترعم الرواية العربية ان ابا عبدالله نكب بني السراج^(٢) وافناهم، وينكر ذلك المستشرقان اوغست مولر، وكليمان هيوار، ويضيفان هذه النكبة، ان صحت، الى ابي الحسن .

واستمرت الحروب بين الابن وابيه حتى رجحت كفة الولد ، فاقام سزيره في غرناطة، ثم خرج غازيا الاسبانيين فاسروه . فاجمع اهل غرناطة على ارجاع والده، وكان لاجئا الى مالقة ، وقد ذهب بصره . فابى الملك وهو على هذه الحال ، وقدم اخاه ابا عبدالله الزغل وكان شجاعاً ، فحارب الاسبانيين ، واثن فيهم ، فرأوا ان يرموه بابن اخيه ابي عبدالله ، فاطلقوا سراحه، وامدوه بالعساكر، فثار يطلب الملك من عمه ، فطالت بيدهما الفتنة حتى استولى ابن الاخ على غرناطة ، وكان العم غائبا عنها ، فلما بلغه الخبر فت في عضده، وعطف الى وادي آس وهي مدينة من اعمال غرناطة، وتحصن بها .

واستفاد الاسبانيون من هذه الفتنة الداخلية، فوالوا غزواتهم على المسلمين، ثم ازدادوا قوة بعد ان تزوج فردينان الخامس ملك أرغون ايزابلة الكاثوليكية ملكة قشتالة سنة ١٤٦٩ م (٨٧٤ هـ) . فالتحمت مملكتان قويتان على دولة بني الاحمر، واصلوها حرباً عواناً يقود جيوشهم فيها فردينان، وتتمولى ايزابلة خدمة الجرحى بنفسها . وحوصرت غرناطة سنة ٨٩٦ هـ (١٤٩٠ م) ، وسلمها ابو عبدالله في غرة

(١) الثغريون : نسبة الى الثغر اي مكانه . (٢) على اسطورة نكبة بني السراج بني

شاوريان قصة آخر بني سراج .

ربيع الاول سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩١ م) بعهدة اباحت للمسلمين واليهود حرية الدين .
واعطي ابو عبدالله ضيعة يقيم فيها، فخرج واهله من قصر الحمراء^(١) حزيناً منخلع
القلب، ومشى مطرقاً الى منفاه، حتى اذا انعطفت به الطريق ، وكادت الحمراء
تتوارى عنه ، ارسل اليها النظرة الاخيرة، وهطلت عيناه بالدموع . فقالت له امه
عائشة : « ابك مثل النساء ملكاً لم تحافظ عليه مثل الرجال . » ولا يزال هذا
الموضع يسمى الى اليوم زفرة المغربي .

واقام ابو عبدالله في ضيعة الجديدة الى سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م) ثم عبد البحر
الى المغرب، وتزل بفاس واتخذها مقراً حتى مات .
ولم يف ملوك اسبانية بعهد فردينان لابن الاحمر يوم فتح غرناطة ، بل طفقوا
يضطهدون المسلمين ويرهقونهم حتى ازعجهم عن سائر الاندلس ، وكان اخر
عهدهم بها .

وامتاز عصر بني الاحمر بتعزيز الاداب ، فنبع في دولتهم جملة من الشعراء
والكتاب، وعرف جماعة من سلاطينهم بالشعر والنثر كابي عبدالله محمد بن محمد
المخلوع ثالث ملوكهم .

(١) قصر الحمراء من عجائب العمارة العربية . شرع في بنائه ابو يعقوب يوسف الاول
خليفة الموحدين، وانته من جاء بعده من الامراء والملوك ، ويعزى بناء الحصن فيه الى محمد بن
يوسف اول ملوك بني الاحمر .

ميزة العصر

التعصب . الاستبداد . أخرية . التساهل .

يكاد العصر الاندلسي ، على اختلاف احواله ووجوهه، يحتوي ميزة واحدة في السياسة والاجتماع ، يتلون بها من اربع نواح متناقضة : الا وهي التعصب والاستبداد، والتساهل والحرية . فقد كان لوجود المسلمين في بقعة تتاخها البلاد النصرانية ويناصبهم اهلها العدا ، دافع قوي لاذكاء الشعور الديني في نفوسهم، يزيد في تأريث عصبية حمية الفقهاء ، وما لهم من نفاذ وسلطان . فلم يكن لسوى المسلمين ان يتولوا الخطط العالية في الاندلس ، والا عرضوا انفسهم لنقمة الفقهاء والعامه، واصابهم ما اصاب اليهود في غرناطة لما استوزر صاحبهم يوسف بن نغزلة . وحرص الفقهاء على سلطانهم الديني ، جعلهم يثيرون العامة ، ويستعدون الخلفاء والملوك على ذوي التفكير اذا تعاطوا الفلسفة ، ونظروا في القرآن، ومحصوا احكام الدين ، وخرجوا بها عن الشرع والسنة . فاصح الشعب بايدي السخط على الفلاسفة يرميهم بالزندقة ، ويوزرهم متنكراً، ويتمنى اهلاكهم . واصبح ولاة الامر اذا ارادوا التودد الى الفقهاء والعامه ، تقدموا باحراق الكتب المتهمة ، وباضطهاد كل مفكر غمزت عقيدته . فراجت سوق الدسائس والوشايات، وتفاقت السعايات والمكاييد، فساد الاستبداد ولقيت حرية التفكير شراً وعنتاً ، فنكب من اجلها ابن رشد واصحابه، وابعد ابن هاني عن الاندلس، ووئدت البدع فلم يكن لها حظ في الغرب كما كان لها في الشرق، وامتدت ايدي الوشاة الى رجال الدولة ، فناههم من نقمة الملوك ما نال سواهم ، فنكبت طائفة من الوزراء والقضاة كابن زيدون وابن الخطيب وابن زمرق، وسواهم .

على ان هذا لا يني مرور فترات قصيرة او طويلة يقوم فيها بالامر ملوك حزمة

عادنون، يؤيدون حرية الفكر دون ان يعضبوا الفقهاء، والعامه فتخف الرشايات
والدسائس، وتلتعش الفلسفة شأنها في زمن الموحدين .
وكانت الاندلس دار خصب وغنى، وموطن حضارة وهو وجمال . فانصرف
اهلها الى متع الحياة يتذوقونها، فاسرفوا في طلب الملذات، وانغمسوا في حماة الدعارة،
وتهتك شاعرهم وكاتبهم، فنطقت شفتاه بافحش الاقوال، وتنادى في ذكر مجالس
اللهو والحمر والتعهر، غير متحوب ولا وجل . ولم يجد من الملوك والفقهاء وازعاً يزعجه
لانهم لم يروا في عبث الناس ومجونهم، ما يحش منه على الدين ما دامت له الحرمة في
النفوس، ولهم السلطان العزيز، فارخوا عنان التساهل، واباحوا حرية القول والعمل،
فساءت الاخلاق، وبرزت الخلاعة معصمها، فكان ضرر هذا التسامح ابلغ من ضرر
التعصب والاستبداد .